الفصل العاشر

الأعلام والمُحاولات الأمريكيَّة

لاختراق الرَّأي العام العربي

لعله من المعروف أن من أهداف تأسيس قناة الحرّة الأمريكية محاولة التأثير في الرأي العام العربي ومواجهة قناة الجزيرة التي رأت الإدارة الأمريكية فيها معوقاً أمام محاولات إحلال الثقافة الغربية محل الثقافة العربية والإسلامية في المنطقة متزامنا ذلك مع دخول القوات الأمريكية إلى العراق غازية ومحتلة. وسنحاول مناقشة تجربة هذه القناة على ضوء الهدف الذي أسست من أجله وهو تشكيل رأي عام عربي متسق مع وجهة النظر الأمريكية فيما يتعلق بقضية العراق بوجه خاص، ومدى نجاحها أو فشلها في تحقيق ذلك الهدف. ويأخذ الحديث عن هذه القناة الناطقة بالعربية أهميته باعتبار أنها تدخل في نطاق الفضائيات العربية بحكم استخدامها للغة العربية وبحكم أيضا استهدافها للرأي العام العربي. وعليه من الضروري مناقشة تجربتها في سعيها للتأثير على العالم العربي والتبشير بالسياسة الأمريكية في المنطقة خاصة فيما يتعلق بالنوايا الأمريكية تجاه العراق عقب احتلاله في ابريل من العام ٢٠٠٣م.

وتأتي هذه القناة ضمن خطط أمريكية حثيثة للتحكم في الرأي العام العربي حتى يكون داعما ومؤيدا للسياسة الأمريكية في المنطقة، يرى الصحافي الأمريكي إيلين مكارثي Ellen McCarthy في صحيفة واشنطن بوست أن قناة الحرّة تعتبر أكبر وأغلى محاولة قامت بها الحكومة الأمريكية لتغيير الرأي العام في الخارج عبر البث منذ إنشاء صوت أمريكا في العام ١٩٤٢م[1]. وتقول صحيفة نيويورك الأمريكية في تقرير لها نقلا عن موفق حرب مدير القناة (السابق) قوله: "لا يطلب من مذيعات القناة ارتداء غطاء الرأس ويلقين تحية المساء بدلا من السلام الديني المعروف في العالم الإسلامي" ويقول تقرير الصحيفة أيضا: "قامت قناة الحرّة في الآونة الأخيرة بخدعة للإضرار بمنافستها في قطر (الجزيرة). حيث بثت تسجيل فيديو يصور عدي ابن صدام حسين في اجتماع سري مع مدير قناة الجزيرة السابق محمد جاسم العلي. وفي التسجيل يشيد عدي بالقناة ويصفها بأنها صديق حقيقي للعراق ويرد العلي قائلا "بدون مساعدتكم كان

(1) Ellen McCarthy, The Washington Post Newspaper, (USA), 15-10-2005.

يمكن أن تفشل مهمتي" واستبعد العلي من منصبه منذ ذلك الوقت[1].

وحتى فيما بعد عندما حاول مدير القناة لاري ريجستر الذي خلف موفق حرب تلافي هذه الإشكالية بمحاولته العزف على هذا الوتر، إلا إنه تعرض لانتقادات مباشرة من داخل "الحرّة" ومن وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس شخصياً "لأنه عمد على بث خطب شخصيات إسلامية مناوئة لأمريكا مثل حسن نصر الله ورئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية، وللطريقة التي غطى بها مؤتمر طهران الذي شكك في المحرقة النازية ضد اليهود، ولأنه طلب أيضاً من مذيعي الحرّة أن يضيفوا بعد كل إشارة إلى النبي محمد، عبارة ﷺ"[2]. يقول أحد الكتاب في صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية مؤيداً لهذا الرأي الرسمي "حجة لاري ريجستر في جوهرها إنه إذا لم تنشر قناة الحرّة مادة معادية لأمريكا فإن أحداً لن يشاهدها.. ليس المطلوب أن تتنافس (الحرّة) مع (الجزيرة) وإنما أن تعرض وجهة نظر بديلة عن الشرق الأوسط مختلفة عن وجهة نظر الدكتاتوريين والجهاديين" وأضاف الكاتب "لو أن راديو أوروبا الحرة وصوت أمريكا أعطت في السابق وقتاً على الهواء للكرملين فإن أحداً ما كان سيتوقع انتهاء الحرب الباردة بهذه السرعة"[3]. من المؤكد إن هذا الرأي لا ينسجم مع الإطار النظري للديمقراطية في أمريكا وفي الغرب عموماً؛ لأن أجهزة الإعلام لابد – وفقاً لذلك – أن تطرح جميع وجهات النظر دون استثناء، أما إصدار الأحكام فهو أمر متروك للمشاهدين. وإذا ما اتفقنا مع هذا الكاتب الأمريكي فإننا بالضرورة نتفق مع أولئك الذين يعارضون استضافة قناة الجزيرة للشخصيات الإسرائيلية، ولن نسعد بالثناء الغربي على الجزيرة عند تعاطيها مع رموز الدولة العبرية.

---

(1) Georg Mascolo & Bernhard Zand, The New York Times News paper, (USA), 23 – 5 – 2005.

(٢) التحرير، صحيفة السفير اللبنانية، ٢٣ مارس، ٢٠٠٧م.

(3) Editorial, The Wall Street Journal News Paper, (USA), 14 – 05 – 2007

المجهود الإعلامي الأمريكي:

لقد أخذ المجهود الإعلامي الأمريكي نحو الجماهير العربية بالتطور والتبلور بشكل لافت للانتباه، وبصورة تتماشى مع تصاعد المجهود الحربي الأمريكي في المنطقة. وأصبح بالإمكان توفير مخصصات مالية سخية من الكونغرس لصالح برامج الإعلام الخارجي في وزارة الخارجية الأمريكية. واختير اسم "الحرّة" لقناة فضائية جديدة لتكون على ما يبدوا امتداداً للإعلام الأمريكي الموجّه كإذاعة أوروبا الحرّة، وراديو الحرية التي وجّهت إبان الحرب الباردة نحو الكتلة الاشتراكية، وقد بدت الصفة الرسمية لهذه القناة عندما كان الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن هو ضيفها الأول يوم انطلاقتها في ١٤ فبراير ٢٠٠٤م مع عناية فائقة بتصريحاته لها[١]. بل عندما طرح المذيع في ذلك اللقاء موضوع فضيحة سجن أبو غريب على الرئيس بوش أنهى مقابلته قائلا له إنه "أحسن صنعا" مما أثار مزيدا من التساؤلات حول استقلال القناة. وقال موفق حرب أول مدير للقناة والذي أجرى المقابلة إنه يتمنى لو لم يدل بوش بهذا التعليق[٢]. ولذلك كان واضحاً منذ البداية أن الولايات المتحدة قد خسرت نصف المعركة مقدماً. فالقنوات والوسائل التي تعلن عن هوية مسبقة، سوف تعلن للمتلقي انحيازها المسبق، ودفاعها عن وجهة نظر أحادية، وبذلك تضع الموضوعية الحيادية جانباً، وتنطلق حاملة راية الموقف الأمريكي لتسوّقه إلى المتلقين[٣]. وذكرت صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية في إحدى افتتاحياتها إن إعلان الرئيس جورج بوش في خطاب "حالة الاتحاد" – العام ٢٠٠٤م – عن إطلاق شبكة الحرّة بالتشكيك والسخرية[٤].

---

(١) حسام شاكر، الإعلام الأمريكي الموجه للعرب والمسلمين.. مخصصات سخية برسم الإخفاق، مقال، صحيفة العرب اللندنية، ١٧ فبراير، ٢٠٠٤م.

(2) Ellen McCarthy, The Washington Post Newspaper. . مرجع سابق.

(٣) مجموعة مؤلفين،العرب والإعلام الفضائي،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، أغسطس، ٢٠٠٤م)، ص٩٨.

(4) Editorial, The Wall Street Journal News Paper, (USA), 29 – 08 – 2005.

وترى لجنة المحاسبة في الكونغرس إن إدارة بوش فشلت في تحسين صورة الولايات المتحدة حول العالم، على رغم إنفاقها مليار دولار لهذا الغرض في العام ٢٠٠٣م، ونحت اللجنة باللائمة على موظفي السلك الدبلوماسي ورجال العلاقات العامة والإعلام في وزارة الخارجية. ويُشير تقرير الكونغرس إلى حاجة الحكومة الأمريكية إلى تجديد وسائل جهودها لاستمالة الرأي العام على الصعيدين الدبلوماسي والإعلامي في الدول العربية والإسلامية على غرار نموذج التصدي للشيوعية سابقا[١].

وتذكر وكالة فرانس برس للأنباء إن الإدارة الأمريكية قررت بعد ذلك تحسين صورتها في ٢٢ دولة في الشرق الأوسط بهدف الحد من نفوذ قناتي الجزيرة والعربية الإخباريتين العربيتين اللتين تتمتعان بشعبية كبيرة في المنطقة. وحظيت القناة الأمريكية الجديدة بميزانية قدرها ٣٠ مليون دولار للعام ٢٠٠٤م [٢]. فيما بلغت تكاليف التأسيس ٦٢ مليون دولار. ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن ميزانية قناة الجزيرة الفضائية في قطر هي أيضا ٣٠ مليون دولار سنويا[٣]. وخصص الكونغرس كذلك ٤٠ مليون دولار لقناة مماثلة لقناة الحرّة موجهة فقط إلى العراق وافتتحت في أبريل ٢٠٠٤م. ولا تذيع الحرّة إعلانات أو تحقق أي دخل ولذلك فهي تعتمد في تمويلها على الحكومة الأمريكية اعتماداً كلياً[٤].

وترصد التقارير حشد القناة الجديدة لعدد من الكوادر المناهضة للقومية العربية والوحدة والإسلام لإدارة وتشغيل قسم الأخبار بالقناة مع رقابة مشدّدة على كل ما يُذاع منها من خلال وكالة الأمن القومي

---

(١) محمد خالد الأزعر، ليس بالإعلام وحده تنحسر كراهية أمريكا، مقال، صحيفة الحياة اللندنية، ١٣ أكتوبر، ٢٠٠٣م.

(٢) التحرير، وكالة فرانس برس (AFP)، ١٤ فبراير، ٢٠٠٤م.

(٣) ياسر محجوب الحسين، الجزيرة.. نظرة رمادية إلى إفريقيا، (بيروت: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م)، ص١١٠.

(٤) Ellen McCarthy, The Washington Post Newspaper. مرجع سابق..

الأمريكي وترجمة كل النصوص إلى اللغة الانجليزية في قسم للرصد يعمل به خُبراء يتقنون اللغة العربية لضمان التقيّد بالخطوط الحمراء[١].

حركية العقل السياسي الأمريكي:

وهكذا بدأت هذه القناة دورها دون مواربة في عكس أو ربما تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة المستهدفة. يقول أحد الكُتّاب: "إذا شئت أن تعرف موقف واشنطن من إيران أو كوريا الشمالية أو السعودية أو سورية، فما عليك إلا الإصغاء ليوم واحد فقط إلى برامج "الحرّة" ونشراتها الإخبارية وتعليقات خبرائها الأمريكان ومن يضارعونهم من العرب. ولعل في ذلك فضيلة كبرى تجعل من هذه الفضائية وشقيقاتها لسان حال متواصلا لحركية العقل السياسي الأمريكي وما يفكر فيه أو يخطط له لحاضر المنطقة العربية ومستقبلها[٢].

ويقول الكاتب السعودي داود الشريان ونائب رئيس قناة العربية: "قناة الحرّة أداة سياسية قبل أن تكون وسيلة إعلامية، وجزء من الحملة الأمريكية على ما يسمى الإرهاب، وهدفها أبعد من منافسة القنوات الفضائية العربية ويرى الشريان أن المشاهد العربي في نظر "الحرّة" وسيلة لهدف أبعد. فالهدف النهائي لهذه القناة هو وسائل الإعلام العربية ذاتها وليس المشاهد، فهي الجبهة الإعلامية في الحملة الأمريكية على ما يسمى الإرهاب، والمطلوب من "الحرّة" أن تخلق نمطاً تلفزيونياً يقوم على المعايير الأمريكية والغربية في الأخبار والتقارير والبرامج السياسية والاجتماعية، وينجح في تشكيل مفهوم جديد للإعلام العربي، ومن ثم يصار إلى تعميمه من خلال التقليد أو الفرض[٣].

---

(١) محمد عبد العاطي، تحديات العقل العربي في ظل حصار الحرة وسوا وهاي!!، تقرير، صحيفة عُمان العُمانية، ٢٩ فبراير، ٢٠٠٤م.

(٢) موسى برهومة، فضائية "الحرة": مفارقة التسمية والخطاب، مقال، صحيفة الحياة اللندنية، ٢٩ فبراير، ٢٠٠٤م.

(٣) داود الشريان، قناة الحرّة، مقال، صحيفة الخليج الإماراتية، ٢١ مارس، ٢٠٠٥م.

وجسّدت قناة الحرّة سياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها الإدارة الأمريكية تجاه المنطقة، تحقيقا لمصالحها المرتبطة بمصالح الدولة العِبرية. حيث يصف صحافي تونسي شريط وثائقي بثته قناة الحرّة بالمقزز وذكر أنه تضمّن مشاهد عن عملية ترميم جثة عدي صدام حسين بعد أن مزقها رصاص الجنود الأمريكيين في الموصل، وذلك لتهيئتها للعرض أمام وسائل الإعلام ليتحقق المشاهدين من وفاته هو وأخوه قصي. يقول الصحافي: "ألم تجد قناة الحرّة فواصل أقل دموية وفظاعة من فواصل الإبر والخيوط والدماء؟ ألا يمكن أن يُفسّر هذا في إطار التشفي من الميت والتمثيل بجثته رغم أنَّ كل الأعراف والديانات ترفض مثل هذا السلوك؟ هل يجب على العرب أن يفهموا من خلال هذا الفاصل الذي مزج بين صورة عُدي الضاحك وجثته الباردة الممزقة رسالة تهديد أمريكية؟"(١).

وفي جانب آخر يقول الصحافي الأمريكي إيلين مكارثي Ellen McCarthy في صحيفة واشنطن بوست الأمريكية، في شأن مقتل مراسل قناة العربية في العراق إثر طلعة عسكرية أمريكية في سماء بغداد: "عندما انطلقت طائرة هليكوبتر عسكرية أمريكية إلى بغداد وبدأت تُطلق النار على حشد من المدنيين بجانب سيارة مدرعة للجيش، أذاعت معظم القنوات الإخبارية العربية فيلم فيديو للواقعة سُمعت فيه الكلمات الأخيرة التي نطق بها الصحافي الضحية؛ حيث قال مستنجدا ويدعى مازن الطميزي (أرجوكم ساعدوني .. أنا أموت). ويضيف مكارثي أن القناة – العربية - التي عمل بها عرضت المشهد مرات متتالية وكذلك قناة الجزيرة. غير أن قناة الحرّة – يقول مكارثي – اعتبرت الشريط مُقلقا أكثر من اللازم. وخلُص مسئولو التحرير في قناة الحرّة إلى أنه من الممكن إذاعة الخبر بدون هذه الصور المفصّلة(٢).

وفي حادث اغتيال مؤسس حركة حماس الفلسطينية الشيخ

---

(١) سراج منير الصوابني، شريط الحرة بين التشريح والتجريح، مقال صحيفة القدس العربي اللندنية، ١٤ يناير، ٢٠٠٥م.

(2) Ellen McCarthy, The Washington Post Newspaper. مرجع سابق .

أحمد يس في مارس ٢٠٠٤م قطعت معظم القنوات العربية برامجها لنقل وتغطية الخبر على الفور بينما استمرت قناة الحرّة في بث برامجها المعتادة عن الطبخ وما شابه ذلك. ويُقر مديرها السابق موفق حرب بالخطأ في تجاهل هذا الحادث قائلا أن القناة كانت في بداياتها الأولى![1]. ويرى الدكتور عبد الله بن يحيى بخاري أن قناة الحرّة تحاول بطريقة ساذجة، تفتقد إلى الموضوعية، تبرير الأعمال الإجرامية التي يقوم بها جيش الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين بأنه دفاع عن النفس، وتبرير ما يحدث في العراق من قتل وتدمير بأنه الطريق إلى تحقيق الديمقراطية، وتبييض صفحة بعض الشخصيات الأمريكية السياسية التي اقترن اسمها في ذهن المواطن العربي بالتعسف والحقد وسوء النية وسفك الدماء[2].

تحديات كسب الرأي العام العربي:

وواجهت "الحرّة" تحديات كبيرة في سعيها لكسب الرأي العام العربي، حيث مالت بصورة واضحة لوجهة النظر الأمريكية التي تتعارض مع الرأي العام العربي مثل فضيحة سجن أبو غريب العراقي حيث كان هنا الخلل؛ يقول Arnaud de Borchgrave في صحيفة واشنطن تايمز الأمريكية: "فقدت قناة الحرّة التي تمولها أمريكاً سريعاً بريقها مع نقل حصار الفلوجة من داخلها عبر شبكات منافسة. وكانت القشة التي قصمت صدقية أمريكا هي تلك الصور التي تنم عن مهانة سادية أنزلها أفراد الشرطة العسكرية الأمريكية بنحو ٤ آلاف عراقي في سجن أبو غريب سئ السمعة في بغداد"[3].

وبالتالي فإن عزوف المواطن العربي عن متابعة قناة الحرّة يستند إلى اقتناعه بأنها وسيلة غير محايدة، ومنحازة للموقف الأمريكي المعروف بمعاداته للأمة العربية وبمساندته للكيان الصهيوني، وهي بذلك تقف في الجانب الآخر لتدافع عن سياسة الولايات المتحدة وعن جريمة انتهاك سيادة قطر عربي واحتلاله وتدمير كيانه وزرع الفتنة

---

(١) هدى العمري، تقرير، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ١٥ أكتوبر، ٢٠٠٤.

(٢) عبد الله بن يحيى بخاري، حرة.. ليست متحررة، مقال، صحيفة عكاظ السعودية، ١٣ مارس، ٢٠٠٤م.

(3) Arnaud de Borchgrave, The Washington Times (USA), 07 – 05 - 2004

فيه[1]. ذكرت دراسة علمية حول "استطلاع رأي الإعلاميين في مصر تجاه قناة الحرة"، ٤٩% من الإعلاميين يرون أن المضمون العام لقناة الحرة يتسم بالتحيز، يليه نسبة ٢٠% ترى أنه يتسم بالهجوم على المنطقة العربية، و١٨% يرون أنه يتسم بالعداء للشعوب العربية،وفي المقابل ترى نسبة ١% فقط انه يتسم بالموضوعية، و٣% يرون أنه يتسم بالحياد. وحول تأثير قناة الحرة على الهوية العربية يرى ٢٥% من المفحوصين أن الحرة تحاول تغيير الهوية العربية لتتفق مع الهوية الأمريكية، ويرى ٧٢% أن القناة الأمريكية تحاول تضليل الهوية العربية ومسخها، فيما رأى ٣% فقط أن الحرة تحافظ على الهوية العربية[2].

يقول David Pollock وهو دبلوماسي أمريكي سابق وأستاذ زائر في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى Washington Institute for Near East Policy أنه مع استمرار النقاش حول محتوى وأسلوب البث للعالم العربي، فمن الضروري أن نقبل حدود أية حملة للدبلوماسية العامة. وتابع "لا نستطيع أن نقلب الصورة ونجعل أمريكا محبوبة. هناك خلافات حقيقية، ولن يمكن لأي قدر... من البرامج الذكية أن تغير هذا الوضع"[3].

وعلى ما يبدو أن التجربة الأمريكية في توظيف الإعلام قد عادت إلى نقطة البداية، وربما أبعد من ذلك، وهي اليوم تكرر أسلوب الإعلام الرسمي الموجّه الذي اعتمدته الدول الشمولية، والاتحاد السوفييتي السابق على وجه الدقة، مع فارق نوعي هو اعتمادها على خطاب مباشر "أيديولوجي" من نوع آخر. فإذا كان الإعلام السوفييتي ينادي بـ"حرية الشعوب المناضلة ضد الإمبريالية"، فإن الإعلام الأمريكي يقول أيضا بـ"حرية الشعوب من أجل الديمقراطية" وإذا كان النداء يوجّه إلى الأيدي العاملة في الإعلام الأول، فإن الثاني يتحدث مباشرة إلى دعاة حقوق الإنسان ومروّجي "الديمقراطية"، وكلاهما

---

(١) صباح يسن، الإعلام: النسق القيِّمي وهيمنة القوة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، أبريل، ٢٠٠٦م)، ص٤٦.

(٢) مجموعة مؤلفين، الفضائيات العربية ومتغيرات العصر، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط١، يناير، ٢٠٠٥م)، ص٢٢٩، ٢٣١.

(3) Nathan Guttman , Forward Magazin, (USA), 18\25 – 05 – 2007.

يفرض حتمية التصديق وطواعية القبول والتسليم السلبي والاستجابة للإقناع المفروض تحت سوط التكرار المتواصل[1]. وهذا لا يتعارض مع قناعة الباحث كون الإعلام رسالة، لكن الإعلام الأمريكي هنا يخالف المبادئ التي يبشر بها حسب المفهوم الذي يحرسه النظام الرأسمالي. وتلقي هذه المخالفة بظلال الشك على كل مضامين هذا الإعلام.

ويمكن الإشارة هنا إلى رأي المفكر الراحل الدكتور إدوارد سعيد أستاذ الأدب الإنجليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في مؤلفه عن الموضوعية في الإعلام من البديهي أن الاتهامات نفسها التي وجهت للإعلام العربي بشأن التغطية الأحادية الجانب يمكن أن توجه أيضا للإعلام الأمريكي. وجوهر حجة سعيد هي أنه على الرغم من العدد الضخم للصحف والمجلات والمحطات التلفزيونية والإذاعية وحرية التعبير إلا أن الإعلام الأمريكي ككل يلتزم بوجهة نظر معينة عندما يحلل السياسة الخارجية الأمريكية. ويؤكد أنها مؤسسات تخدم وتروج لهوية الكيان الأمريكي، وهو العامل الأساسي الذي يقرر الشيء الذي يصبح خبرا وكيف يتعين تقديمه[2].

أهداف وقيمية الإعلام:

ومن الضروري التنويه بأنه لا يوجد في الدنيا كلها إعلام بلا هدف، ولا قيم، ولا منطلقات.. فلا يوجد إعلام بلا رسالة يحملها إلى العالم. بل الإعلام هو الرسالة، في الحقيقة التي تؤمن بها الأمة، وتجتهد في إبلاغها. والإعلام المطلوب في مجتمعنا الإسلامي هو إعلام الكلمة الطيبة.. والوعاء النظيف، الذي يسهم بإعادة بناء الإنسان، واسترداد إنسانيته، وتخليصه من العبودية لغير الله، ابتداءً من فقرات الترفيه والترويح، وانتهاءً بإعلام الأزمات والشدائد والملمات[3]. والإعلام الرسالي يختلف عن غيره فهو ليس مجرد نقلٍ للخبر أو الصورة الواقعة، وإنما هو خطاب للعقل يقوم على أساس الحقيقة، وهو دعوة ترفض الكذب والتشويه وتسعى إلى الحقيقة منطقها

---

(١) مجموعة مؤلفين، العرب والإعلام الفضائي، مرجع سابق، ص٩٦، ٩٧.

(2) Samer Zouehid, The Global Political News Magazine, (USA), 09 – 06 – 2007.

(٣) عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة، (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٤م)، ص٥١.

هو المناقشة التي تؤدي إلى الاقتناع حيث تقرع الحجة بالحجة بحرية كاملة. ويجب التأكيد على أن العقيدة ترتبط بالأديان السماوية وهي تختلف بالطبع عن الإيديولوجية أو الفكر العلماني[١].

وبعد حوالي ٨ أشهر فقط من انطلاقة قناة الحرّة قال المتحدث الرسمي باسم لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس الأمريكي، مارك هلمكي إن الصعوبات التي تواجهها قناة الحرّة تدفع إلى دراسة بعض التغييرات في القناة. وأقر بأن استطلاعات الرأي التي تقوم بها هيئات لصالح الكونغرس في العالم العربي بشأن القناة لم تستطع بأي شكل أن تجزم بنجاح قناة الحرّة، وأنه حتى أفضل استطلاعات الرأي أعطت صورة مُلتبسة عن كيفية تلقي المشاهد العربي لها[٢]. وفي دراسة قامت بها السفارة الأمريكية في القاهرة بيّنت أن مشاهدي قناة الجزيرة في مصر يبلغ حوالي ٥٠% من إجمالي عدد المشاهدين، وقناة العربية ٢١.١%، أما قناة الحرّة فيبلغ عدد مشاهديها ١.٢% فقط[٣]. ويصف William Rugh الحرّة بأنها "مضيعة كبيرة للمال". و Rugh هو دبلوماسي أمريكي متقاعد وخبير في شؤون الشرق الأوسط ألف كتابا حول الإعلام في العالم الإسلامي[٤]. وفي نوفمبر ٢٠٠٥م أعلن بيرت كلاينمان، رئيس شبكة الشرق الأوسط الأمريكية (إم بي إن)، المناط بها إدارة قناة الحرّة وإذاعة سوا استقالته من منصبه. وتقول صحيفة الشرق الأوسط في لندن أن الاستقالة تأتي في وقت أكدت فيه مصادر في الكونغرس أن لجنة الإشراف والتحقيقات تستعد لجلسة استماع

---

(١) ياسر محجوب الحسين، الإعلام العربي.. إشكالية الرأي الانطباعي، (الخرطوم: هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، ط١، ٢٠٠٧م)، ص٦١،٦٠.

(٢) عماد مكي، تقرير، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ٢ أكتوبر، ٢٠٠٤م.

(٣) صقر العنزي، حرب الأفكار وحال الإعلام العربي، مقال، صحيفة اليوم السعودية، ٦ مارس، ٢٠٠٥م.

(4) Georg Mascolo & Bernhard Zand, The New York Times News paper. مرجع سابق.

للنظر في قضايا تتعلق بقناة الحرّة وراديو سوا[١].

ووجُهت قناة الحرّة بانتقادات واسعة من قبل مختلف النخب العربية الأمر الذي يشير إلى أن الفلسفة التي قامت عليها لم تكن لتجد أي ترحيب من جانب المستهدفين. يقول الشيخ إبراهيم بن ناصر الخضيري القاضي في المحكمة الكبرى بالعاصمة السعودية الرياض، إن قناة الحرّة موجهة إلى العرب بهدف إضعافهم والسيطرة عليهم. وشدد على أن الحرب الدائرة حاليا حرب فكرية يرجى من ورائها طمس الهوية العربية ومعالم الدين الإسلامي، وأشار الخضيري إلى أن شعار القناة عبارة عن "خيل ضائعة" معتبرا أن هناك رموزا دينية تَخفى على غير الملمين بأمور الدين[٢]. كذلك وجّهت لجنة حماية الوطن ومقاومة التطبيع المنبثقة عن النقابات المهنية في الأردن نداءً دعت فيه إلى مقاطعة قناة الحرّة بعد أسبوعين من بدء بثها، ومعها سائر الأدوات الإعلامية الأمريكية الرسمية (إذاعة سوا، ومجلة هاي)، وقال بيان للحنة بهذا الخصوص: إن هذه وسائل الاستعمار الجديد الساعي إلى طمس الحقائق والتلاعب في عقول البشر. ومن أساليبه وسائل الإعلام الموجهة والممولة من أمريكا والتي كان آخرها قناةالحرّة[٣].

وفيما بعد واجه المتعاونون من الكوادر العربية مع هذه القناة انتقادات حادة وصلت حد المقاطعة. يقول الصحافي السعودي عبد الله عبد الرحمن الجفري: "إن قناة أمريكا المُعرَّبة "الحرّة": تمثل الاحتلال للعقل العربي المواكب للاحتلال العسكري الأمريكي- الصهيوني للأرض العربية... وهو احتلال باللغة العربية في عقر دار العرب وبأصوات و(وجوه) أمريكان بالتجنُّس الفكري(!!)"[٤].

ومن ناحيته قرر اتحاد الكتاب العرب في دمشق اعتبارا من ٣ فبراير ٢٠٠٥م منع أعضائه البالغ عددهم نحو ٥٠٠ عضواً من

---

(١) منير الماوري، تقرير، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، ٥ نوفمبر، ٢٠٠٥م.

(٢) جميل الذيابي، صحيفة الحياة اللندنية، ٨ مارس، ٢٠٠٤م.

(٣) موقع إيلاف الإلكتروني www.elaph.com، التحرير، ٧ مارس، ٢٠٠٤م.

(٤) عبد الله عبد الرحمن الجفري، "الحرة" الاستعمارية!!، مقال، صحيفة عكاظ السعودية، ٢١ فبراير، ٢٠٠٤م.

الظهور على شاشة قناة العربية. وقال الدكتور علي عقلة عرسان رئيس الاتحاد أن أسباب القرار تتمثل في أن قناة الحرّة تأسست بهدف تحسين صورة الولايات المتحدة، كما أن نجاحها يعتمد على أهمية وثقل المشاركين فيها، بالإضافة إلى ذلك فإن القرار يأتي في إطار الرد على منع قناة المنار اللبنانية ووصفها من قبل الأمريكيين بأنها إرهابية[١].

مؤشرات فشل قناة الحرّة:

وهناك عدة مؤشرات على عدم تمكن قناة الحرّة من تحقيق هدفها، وأهم وأقوى هذه المؤشرات ما صدر من الإدارة الأمريكية صاحبة المشروع. وفضلا عن العديد من المراجعات بل المساءلة من جانب الكونغرس بخصوص أداء القناة وما نتج عن ذلك من استقالات في قمة هرمها الإداري. تنقل مؤسسة الأمريكية Accuracy In Media المستقلة التي تعنى بما تنشره وسائل الإعلام وتحري الدقة بشأنه؛ عن الرئيس بوش في ٢٠٠٦م في تقرير لها بعنوان " Bush Admits U.S Losing Media War" قوله: "نحن عظيمون في البث التلفزيوني لكننا هزمنا في جبهة العلاقات العامة" وذلك بعد ما سئل عن النظرة العامة لأمريكا في الخارج[٢]. وفيما بعد كشف آدم ايرلي المستشار الأول لمساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية لشؤون الدبلوماسية العامة عن خطة رسمية لتكريس حضور المسؤولين الأمريكيين في وسائل الإعلام المرئية وبخاصة في الشرق الأوسط، موضحا أن بلاده فشلت في التواصل مع الجمهور المحلي وهي تهدف بهذه الخطة إلى كسر الغياب عن وسائل الإعلام[٣]. وهذا تأكيد آخر على فشل القناة التي أنشأتها الولايات المتحدة لهذا الغرض ومن ثم اتجه التفكير لتعزيز الوجود في القنوات العربية الأخرى مع الإشارة الواضحة سواء من قبل الرئيس بوش

---

(١) إبراهيم حميدي، تقرير، صحيفة الحياة اللندنية، ٣ فبراير، ٢٠٠٥م.

(2) Cliff Kindcaid, Accuracy In Media, (Washington), www.aim.org, 30 – 08 – 2006.

(٣) منتصر حمدان، تقرير، صحيفة الخليج الإماراتية، ٢ مارس، ٢٠٠٧م.

أو مسؤول الخارجية الأمريكية إلى الإعلام المرئي.

يقول شلبي تلحمي من معهد بروكنجز الأمريكي في بحث أجراه لصالح مؤسسة زغبي "أن الشبكة العربية الأمريكية (الحرّة) لا تثير اهتمام الجماهير. وأظهر البحث الذي قام به إن ٢% فقط من المشاهدين العرب كانت "الحرّة" هي اختيارهم الأول كمصدر للأخبار"[١].

خلاصة:

يمكن مناقشة أسباب إخفاق قناة الحرّة في التأثير على الرأي العام العربي من خلال حقيقة أن عملية تكوين الرأي العام صناعة لها قوانينها وآلياتها وإنتاجيتها، ويمكن أن نخلص إلى أن صانعي السياسة الخارجية الأمريكية لم يراعوا العوامل الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسّياسية التي تتحكم في تكوين وتغيّر الرأي العام، حيث للدين بالغ الأثر في تكوين الرأي العام، فهو يوجه الأفراد والجماعات في حياتهم بما تنتظمه من عبادات ومعاملات وأخلاق وعلاقات، كما أنهم يحكمون على سائر القضايا والمشكلات من منطلقات العقيدة وفي ضوء الإيمان. فلم تكن "الحرّة" بأي حال تُراع ذلك بل كانت تدفع في الاتجاه المعاكس من منطلق أنها تبشر بالثقافة الغربية القائمة على دونية الثقافة الأخرى. ارتكبت الإدارة الأمريكية خطأ استراتيجيا عندما أعلنت بكل وضوح عن نيتها تحسين صورتها أمام الرأي العام العربي من خلال تأسيسها لقناة الحرّة. باعتبار أن مصدر الرسالة الإعلامية أو الذي يتحكم فيها، من أهم العوامل التي تؤثر في تجاوب المستهدفين مع رسالتها. ويرى قطاع واسع من الجمهور العربي في الإدارة الأمريكية عدوا لمصالحه من خلال مواقفها في العراق وفلسطين.

من خلال الأهداف التي قامت عليها "الحرّة" يمكن ملاحظة أنها اعتمدت على الاتصال الاقناعي في ايصال رسالتها وهذا النوع من الاتصال يقوم على عملية محددة لهدف محدد من خلال الدعاية والإعلان والعلاقات العامة، بينما تشكيل الرأي العام قد يتم عبر عملية

---

(١) مجدي خليل، لماذا فشلت الحرة؟، مقال، موقع إيلاف الإلكتروني www.elaph.com، ١٦ يناير، ٢٠٠٦م.

تداول حر للمعلومات وبشكل قد يبدو تلقائياً.

وبالنظر إلى حقيقة أن الرأي العام يؤثر في محتوى الرسالة الاتصالية، نظرا لتبني وسائل الإعلام الجماهيري شعار "أعط الجمهور ما يريد" تطبيقاً للمبدأ الديمقراطي في نظر الكثيرين، نجد أن "الحرّة" وفقا للخط المرسوم لها لم تتمكن من التعرض للقضايا السّياسية والاجتماعية، بما يتفق مع رغبات جمهورها العربي الذي تستهدفه. وبما أن الاتصال يستطيع أن يُغير من آراء بعض الناس بطريقتين، الأحداث التي يختار الإعلام تقديمها ويبرزها ويسلّط الضوء عليها، والكيفية التي يتم بها معالجة تلك الأحداث وطريقة تحليلها والتعليق عليها. ولوحظ أن "الحرّة" كانت تتعمد عدم التركيز على أحداث مهمة مثل سجن أبو غريب واستشهاد مؤسس حركة حماس ومقتل مراسل قناة العربية.